الدعوة في سورة نوح
– عليه السلام –

دكتور/ حسن بن علي بن علي قرشي
الأستاذ المشارك بقسم الحسبة
في المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1]﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3] أما بعد [4]:

فإن الله تعالى أرسل رسله الكرام مبشرين ومنذرين، داعين الناس لدين الله وحده دون سواه، وعلمهم ما يبلغونه للبشر مما فيه نفعهم في الدارين – الدنيا والآخرة – قال تعالى:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[5]

---

(1)- سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(2)-سورة النساء، الآية: ١.

(3)- سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

(4)- تسمى هذه الخطبة " خطبة الحاجة " الحديث أخرج بعضه الإمام مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم ٢٠٠٧، ص ٣٤٨، صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، دار السلام، الرياض، ط١، ربيع الأول ١٤١٩هـ، وانظر: خطبة الحاجة، الشيخ الألباني المكتب الإسلامي، بيروت ط٣، ١٣٧٩هـ.

(5)-سورة النساء، الآية: ١٦٥.

وقد قص الله تعالى علينا أخبار عدد من الرسل عليهم السابقين، وبيَّن تعالى بعض الحكَم من قص أنباء الرسل السابقين - عليهم السلام – فقـــال تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

ومن الأنبياء الذين قَصَّ الله علينا قصته في أكثر من موضع من القرآن الكريم، بل إنه تعالى أنزل سورة باسمه؛ إنه نوح عليه السلام.

ومن هذا المنطلق رغبت الكتابة في بحث علمي دعوي بعنوان:**(الدعوة في سورة نوح عليه السلام)**

وتشتمل خطة البحث على ما يلي:

أولا:أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: أهداف الدراسة.

ثالثاً: تساؤلات الدراسة.

رابعاً: المنهج المستخدم في الدراسة.

خامساً: تقسيم الدراسة.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تبرز أهمية هذا الموضوع في أنه يتحدث عن سورة عظيمة من سور القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى؛ ليكون هدى للعالمين، فيه آيات بينات لمن وفقه الله للاستقامة عليها والاهتداء بهديها.

٢- أن هذه السورة تتحدث عن رسول من أولي العزم الذين أمر الله رسوله ﷺ بالصبر كما صبروا، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2]

٣- لقد قرأت ما قصه الله تعالى في القرآن الكريم من سيرة نوح عليه السلام وصبره على قومه ما جعلني أتوقف كثيراً عند سيرة هذا النبي الكريم؛ لأتأملها وأستفيد وأفيد من تلك السيرة العطرة.

([1])- سورة هود، الآية: ١٢٠.

([2])-سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

٤- اشتمال سورة نوح عليه السلام على كثير من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وأخلاق الدعاة، ومواقف الكافرين من دعوته عليه السلام، مما حدا بي للكتابة عن الدعوة وأساليبها من خلال سورة نوح عليه السلام.

٥- المساهمة في إيضاح منهج الأنبياء عليهم السلام من خلال القرآن الكريم، في الوقت الذي تتسارع فيه الجهود لإبراز مناهج فكرية معاصرة لا تمت إلى الشريعة الإسلامية بصلة، بل تفت في عضدها وتنخر في قوتها، والله المستعان.

ثانياً: أهداف الدراسة:

١- بيان أهم الموضوعات الدعوية في سورة نوح عليه السلام.

٢- التعرف على جهود نوح عليه السلام في دعوة قومه وصبره عليهم.

٣- استنباط الأساليب التي استخدمها نوح عليه السلام في دعوته لقومه.

٤- أخذ العبرة من موقف قوم نوح عليه السلام ومصيرهم.

ثالثاً: تساؤلات الدراسة:

١-كيف وقع الشرك في الأرض ؟

٢-ما أساليب نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى؟

٣-ما موقف قوم نوح عليه السلام من الدعوة.

٤-كيف كانت خاتمة الكفار من قوم نوح عليه السلام.

رابعاً: المنهج المستخدم في الدراسة: استخدمت في هذا البحث – بعد عون الله تعالى– **منهج الاستنباط:** الذي هو لغة: من استنبط الفقيه، أي: استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده، قال الله تعالى:﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[١][٢].

والاستنباط هو: استخراج ما خفي من المعرفة.

وعلى هذا يمكن تعريف المنهج الاستنباطي في مجال الدعوة في سور القرآن الكريم بأنه: الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل ما يستطيع من جهد علمي وعقلي عند دراسة سور القرآن الكريم بهدف استخراج الفوائد العلمية الدعوية المدعمة بالأدلة الواضحة[٣].

---

(١)-سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢)- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين محمد بن مرتضى الزبيدي،٤٢٦/١٠، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

(٣)- انظر: المرشد في كتابة الأبحاث، د. حلمي محمد فودة، وزميله د. عبدالرحمن صالح عبدالله، ص ٤٢، دار الشروق، جدة ط٦، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. وقد عرفا الاستنباط بأنّه: " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة " وقد حورته بما يتناسب مع موضوع البحث اجتهاداً ــ والله أعلم بالصواب ــ

خامساً: تقسيم الدراسة:

تمهيد: ويشمل ما يلي:

أولاً: التعريف بسورة نوح عليه السلام.

ثانياً: التعريف بنوح عليه السلام.

المبحث الأول: التوحيد والشرك في الأرض.

المطلب الأول: التوحيد هو الأصل في الأرض.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية أساس الدعوة.

المطلب الثالث:وقوع الشرك في الأرض.

المطلب الرابع:وقوع الشرك عند العرب.

المبحث الثاني: أساليب نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى.

أولاً: الاستدلال بالربوبية على الألوهية:

ثانياً: استخدام الأساليب المتنوعة في الاتصال الدعوي

ثالثاً: الترغيب والترهيب.

المبحث الثالث: موقف قوم نوح عليه السلام من الدعوة.

الموقف الأول: الاستكبار.

الموقف الثاني: المكر.

الموقف الثالث: التعصب المذموم.

المبحث الرابع: خاتمة الكفار من قوم نوح عليه السلام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات

تمهيد:

أولاً: التعريف بسورة نوح عليه السلام.

اسم السورة: سورة نوح، وقد اشتهرت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة، ووجه تسميتها بهذا الاسم لما فيها من ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه [1].

مكان نزولها:مكة، فالسورة مكية.

ترتيبها في المصحف:تقع هذه السورة ضمن الجزء التاسع والعشرون (جزء تبارك) **ورقمها**: (٧١).**وعدد آياتها**: ثمان وعشرون آية (٢٨ آية).

موضوع السورة: قصة نوح عليه السلام مع قومه ودعوته لهم وتكذيبهم له وعدم تصديقه، وأخيراً دعاؤه عليهم بالهلاك، قال العلامة ابن سعدي – رحمه الله - : (لم يذكر الله في هذه السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك) [2].

فضلها:مما ورد في فضلها أنه يستحب قراءتها في صلاة الاستسقاء، فقد ذكر الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – عند تفسيره قوله تعالى:﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾فقال: (ولهذا يستحب قراءة هذه السورة، لأجل هذه الآية، في صلاة الاستسقاء، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار، ومنها هذه الآية﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾[3]ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء[4]التي يستنزل بها المطر) [5].

---

(1)- المختصر في أسماء السور، د. إبراهيم بن سليمان الهويمل، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٠، ربيع الآخر ١٤٢١هـ، ص ١٨١.

(2)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص: ٨٨٨، تحقيق: د.عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(3)- سورة نوح، الآيتان: ١٠-١١.

(4)- مَجاديحُ السَّماءِ: أَنْواؤُها، ويقال: أَرْسَلتِ السّماءُ مَجاديحَ الغَيْثِ، قال ابنُ الأَثير: الياءُ زائدةٌ للإشباع. قال: والقِياس أَن يكون واحِدُها مُجْدَاحاً، فأَمّا مِجْدَحٌ فجمْعُه مَجادِحُ. والذي يُرادُ من الحَديث: أَنّه جَعلَ الاستغفارَ استسقاءً، وأَراد بإِبْطالَ الأَنْواءِ والتَّكذيبَ بهـا، وإِنّما جعلَ الاستغفارَ مُشْبِهاً للأَنواءِ مخاطَبةً لهم بما يَعرفونه لا قَوْلاً بالأَنواءِ، وجاءَ بلفْظِ الجمْعِ لأَنه أَراد الأَنواءَ جَميعاً الّتي يَزْعُمون أَنّ مِن شأْنها الـمَطَرَ. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٣٣٥/٦.

(5)- تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل ابن كثير، ٢٣٣/٨، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

ثانياً: التعريف بنوح عليه السلام

(اسمه:هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ _ وهو إدريس _ ابن يرد بن مهلاييل بن قينن -قينان -بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.

مولده:وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وستٍ وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره.

وعلى تاريخ أهل الكتاب يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم ابن حبان في صحيحه: حدثنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام، سمعت، أبا سلام سمعت أبا أمامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟قال:نعم مُكَلَّم. قال:فكم كان بينه وبين نوح ؟قال: عشرة قرون.قلت- أي ابن كثير -:وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه(١).

ثم ساق ابن كثير- رحمه الله-تفسيرات لهذه العشرة ثم قال: وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عُبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول أهل الموقف يوم القيامة)(٢).

مسألة: هل كان نوح أول الرسل عليهم السلام ؟:

اختلف في كون نوح عليه السلام أول رسول،أو أن آدم عليه السلام أول الرسل، أو أن إدريس عليه السلام كان أول الرسل، وقد أشار الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى هذا الاستشكال: فقال-رحمه الله- في الفتح: (فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبياً، وبالضرورة نعلم أنه كان على شريعة من العبادة، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو أول رسول إليهم، فيكون أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية فيقول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض؛ لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأنَّ رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم

(١)- أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْقُرُونِ بـرقم ٦١٩٠، ٦٩/١٤، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، ترتيب: الأمير عـلاء الـدين علـي بـن بلبـان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢)- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ٢٣٧/١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركـي، دار هجـر للطباعـة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط، وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة، واستشكله بعضهم بإدريس، ولا يَرِد لأنه اختلف في كونه جد نوح) [1].

قلت: والمراد بحديث الموقف هو ما جاء في الصحيحين في حديث طلب الناس يوم القيامة من الرسل أن يشفعوا لهم للخلاص،عن أبي هريرة قال:أُتيَ رسول اللهﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع- وكانت تعجبه- فنهس منها نهسة فقال: ((**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟يجمع الله تعالى يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر وتدنوا لشمس في بلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، في قول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم يعني إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: إيتوا آدم. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فيأتون إبراهيم...**))الحديث[2].

فهذا الحديث يؤيد ما ذهب إليه من يقول بأن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل عليهم السلام.

([1])-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٣٧٢/٦-٣٧٣، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

([2])- أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾سورة الإسراء، الآية: ٣، برقم ٤٧١٢، ص ٨١٥، صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، برقم ٤٨٠، ص ١٠٣-١٠٤.

ومن الأدلة التي استدل بها من يقول أنه أول الرسل قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[1].

والأظهر - والله تعالى أعلم – أن آدم عليه السلام نبي وليس برسول، أما نوح عليه السلام فهو أول رسول كما هو نص الحديث، حيث أرسل بعد أن امتلأت الأرض كفراً وشركاً.

وكذلك فإن الصحيح - والله أعلم - أن إدريس عليه السلام ليس جداً لنوح عليه السلام بل من ذريته، لحديث الإسراء والمعراج في الصحيح حين لقيه النبي ﷺ في السماء فقال إدريس عليه السلام: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ولو كان جداً لنوح لقال للنبي ﷺ: مرحباً بالابن الصالح، كما قاله إبراهيم عليه السلام[2].

وعلى العموم فالخلاف وارد في هذه المسألة، ومن أراد التوسع فيها فليراجعها في مظانها، والله أعلم.

([1])- سورة النساء، الآية: ١٦٣.

([2])-أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، وهو جد أبي نوح، وقيل جد نوح عليهما السلام، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾سورة مريم، الآية: ٥٧، برقم ٣٣٤٢، ص ٥٥٥- ٥٥٦، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، برقم ٤١١، ص ٨٢.

المبحث الأول: التوحيد والشرك في الأرض:

المطلب الأول: التوحيد هو الأصل في الأرض:

إن الناظر في أصول الأمم وفي أسباب بعث الرسل عليهم السلام يجد أن السبب في ذلك هو أنه لا يبعث الرسول في قوم إلا بعد أن يتغير حال هذه الأمة من التوحيد إلى الشرك فعندما خرجوا عن الأصل بعث الله إليهم رسولاً ليردهم إلى الأصل الذي انحرفوا عنه، يقول الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[1].

قال الإمام البغوي- رحمه الله -: (قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾قال الحسن وعطاء: كان الناس من وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحاً وغيره من النبيين. وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله إليهم نوحاً أ.هـ)[2].

قلت: وقول قتادة وعكرمة - رحمهما الله - ورد ما يؤيده، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان بين آدم نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

ففيما سبق دلالة قوية على أنه لم يبعث نوحعليه السلام إلا بعد أن غيَّر وبدل هؤلاء دين الله ومما يقوى هذا القول أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[3] قال الأشقر: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾أي موحدة لله سبحانه مؤمنة به[4].والتوحيد هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، والله تعالى قد خلق عبادة كلهم على التوحيد، قال رسول اللهﷺفيما يرويه عن ربه: **قال الله تعالى: ((خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم))**[5].

---

(1)- سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(2)- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(3)- سورة يونس، الآية: ١٩.

(4)- زبدة التفسير من فتح القدير، محمد بن سليمان الأشقر، ص ٢٨٦، دار الهجرة، ط٣، ١٤١١هـ.

(5)- أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم ٧٢٠١، ص١٢٤١.

وقال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1].

فهذه الآية تدل على أن الله تعالى قد أخذ الميثاق على بني آدم بالربوبية له تعالى، مما يدل على أن أصل البشرية كلهم شاهدين على أنفسهم بما استشهدهم الله تعالى عليه.

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه،قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وفي الصحيحين عن أبي هريرةﷺ قال:قالﷺ: ((**كل مولود إلا يولد على الفطرة- وفي رواية-على هذه الملة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء،هل تحسون فيها من جدعاء**))[3] [4].

فلما غفل الناس واحتاجوا إلى من يعيدهم إلى الصراط المستقيم بعث الله تعالى رسلاً إليهم من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية أساس الدعوة:

قال الإمام الطحاوي- رحمه الله -:(اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل)[5]، فذلك أمر أطبقت عليه دعوات الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فما منهم أحدٌ إلا افتتح دعوته لقومه بقوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[6]فنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء كرروا نفس العبارة، فالتوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة والخلوص له من الشرك بعث الله به كل الرسل،قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

---

(1)- سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(2)- سورة الروم، الآية: ٣٠.

(3)- أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، برقم ١٣٥٩، ص ٢١٧، وأخرجه مسلم –واللفظ له - في كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم ٦٧٥٥، ص ١١٥٧-١١٥٨.

(4)- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣ / ٥٠٠.

(5)- شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ٢٣/١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(6)- سورة هود، الآية:٥٠ وغيرها.

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[1]، وقال ﷺ:((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..**))[2](فالتوحيد هو زبدة الرسالات الإلهية وغايتها وقطب رحاها وعمدتها، ترتكز كلها عليه، وتستند في وجودها إليه، وتبتدئ منه وتنتهي إليه، ولا عجب فهو يقوم على إفراد العبد ربه بما هو محض حقه من أنواع العبادة وصورها، وإخلاص القصد والإرادة في أدائها، واعترافه على نفسه وعلى غيره من المخلوقات بلزوم العبودية لهم في سائر الحالات، فالله وحده هو ربهم وملكهم والقاهر فوقهم، والمتصرف فيهم بما يشاء لا دافع لقضائه ولا راد لمشيئته، وهم جميعاً عبيده المربوبون الفقراء المحدثون الضعفاء الذين لا غنى لهم عنه طرفة عين ولا قيام لهم بدونه لحظة من زمان)[3].

وما من دعوة تقوم على غير أساس من التوحيد الخالص إلا كانت بعيدة عن الحق بقدر بعدها عن الدين الحق، فلا بد من أن تضعف تلك الدعوة وينمحي أثرها، ولا تجد لها طريقاً عند من عرفوا الحق وعقلوه، فهي مردودة؛ لأنها من عند غير الله:﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[4]، ولا سبيل إلى الله بدون توحيد الله وإفراده بالعبادة؛ لذلك ذم الله تعالى الذين يدعون غيره ويتوسلون بهم من دونه، ويقولون إنهـــا واسطة بينهم وبين الله:﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[5].

والاقتداء بالأنبياء في هذا الباب أمر لا بد منه فالتوحيد يعتبر أصلاً أصيلاً من أصول الدعوة إلى الله، بل هو أسها وأساسها ومنه تنبثق فهؤلاء البشرية إن لم تربط علاقتهم بالله على منهج صحيح ودين واضح تخبطوا وتاهوا وضاعوا بين الأفكار المنحرفة، وانظر أخي المسلم إلى حال الصحابة ومن تبعهم عندما تمسكوا بهذا الدين على نهجه الذي جاء به البشير النذير ﷺ ترى قوة تمسكهم بهذا الدين حتى يقول قائلهم وهو يقتل:

([1])- سورة النحل، الآية: ٣٦.

([2])- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾التوبة: ٥، برقم ٢٥، ص ٧، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، برقم ١٢٥، ص ٣٢.

([3])-دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، ص ٧، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

([4])-سورة النساء، الآية: ٨٢.

([5])-سورة الزمر، الآية: ٣.

ولـــست أبـــالي حـــين أقتـــل مـــسلماً على أي شق كان فـــي الله مـــصرعي
وذلـــك فـــي ذات الإلـــه وإن يـــشأ يبارك على أوصال شـــلوٍ ممزعـــي[1]

المطلب الثالث:وقوع الشرك في الأرض.

لما كان الناس على فطرة الله تعالى التي خلقهم عليها لم يطب هذا الأمر للشيطان الرجيم، وحاول بشتى الوسائل إضلال بني آدم وصرفهم عما هم عليه من التوحيد؛ لأنه لا يريد أن يدخل النار وحده، فقد تسبب في إنزال آدمعليه السلام وذريته من الجنة إلى الأرض، وبعد أن وصلوا إلى الأرض لم يَهْدَأْ له بَالٌ ولم يَقِرَّ له قرار؛ فتسبب في قتل قابيل لأخيه هابيل، ولم يكتف بهذا بل حاول في بني آدم حتى يصرفهم عن التوحيد الذي هو أساس دخول الجنة، وبه ينجوا الناس من النار، ثم مازال يتدرج معهم حتى أدخل عليه داء عضالاً ومرضاً خبيثاً إذ احَلَّ بقوم ضَلُّوا ضلالاً بعيداً ألا وهو الغلو في الصالحين، فقد دخل الشرك لقوم نوحعليه السلام من هذا الجانب، فكان هو سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم؛ لما (يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظم ذنب عصى الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله)[2].

ففي صحيح البخاري- رحمه الله- عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[3]قال: (...أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)[4].

قال الشيخ الغنيمان – حفظه الله - (هذه القصة فيها معتبر، وهؤلاء الذين صوروا صور هؤلاء الصالحين ما كان عندهم في زمنهم شرك؛ لأنهم ذرية آدم؛ وآدم نبي،خاطبه الله جلَّ وعلا وأمره أن يتبع، وبين له الأوامر، وكان أولادُه على طريقته،

---

(1)- أخرج القصة الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر ومن صلى ركعتين عند القتل، برقم ٣٠٤٥، ص ٥٠٣.

(2)-فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٣٨٦. تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

(3)-سورة نوح الآية ٢٣.

(4)-أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾سورة نوح، الآية: ٢٣، برقم ٤٩٢٠، ص ٨٧٥.

ما كانوا يخالفون في ذلك، فبقوا وقتاً طويلاً، يقول ابن عباس:عشرة قرون،...ثم حدثت هذه الحادثة وهي: أنه كان فيهم خمسة رجال من الصالحين المجتهدين فيهم، فماتوا واحداً بعد الآخر في زمن متقارب، فأسفوا عليهم وجزعوا لذلك، فدعاهم الجزع عليهم وحبهم والتعظيم لهم أن صوروا صورهم، ونصبوها في المجالس التي كانوا يجلسونها ويعبدون الله فيها، ووضعوها لغرض أنهم إذا رأوها يجتهدون في العبادة، لا لأجل أنهم يعبدونهم، وإنما لأجل أن يتذكروا أفعالهم إذ رأوا صورهم؛ ولكن الشيطان فرح بهذا؛ لأن الشيطان له نظر بعيد، يعرف كيف تؤول الأمور، وهو يشم القلوب ويعرف ميلها،وقد قال رسول اللهﷺ: **((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم))**[1]يعني: يعرف ماذا يميل إليه الإنسان، في ميله بشهواته. فلما صوروا هذه الصور فرح بهذا؛ لأنه فقيه في الشر يعرف كيف يدعو إليه، فسكت عن هذا الأمر حتى مات هؤلاء الذين يعرفون السبب، ومات أبناؤهم الذين علمهم آباؤهم السبب، وجاء من لا يعرف ذلك، ولهذا يقول ابن عباس: (فنُسي العلم) يعني: العلم بسبب التصوير نُسي وذهب، عند ذلك جاءت فرصة الشيطان، فجاء إليهم وقال: آباؤكم ما صوروا هذه الصور إلَّا ليتوسلوا بها ويجعلوها وساطة بينهم وبين الله، فيطلبون الله بها، ويستغيثون بها ويتشفعون بها، فوقعوا في الشرك بدعوة الشيطان هذه، وهذا هو أول شرك وقع في الأرض، وإنما كان بسبب الصور والغلو في الحب الذي لم يشرعه الله، وإن كان حب الصالحين مشروعاً، إلا أن محبتهم ليست لذواتهم، فلا تحب الصالح لأنه لحم ودم، ولأن صورته كذا وطوله كذا، ولأنه ابن فلان، وإنما تحبه لأنه يعبد الله، ولأنه مجتهد في طاعة الله، ولأنه صلح في اتباع أمر الله واجتناب نهيه، هذا أمر مشروع؛ ولكن هؤلاء تعدوا هذا الأمر فزادوا وتجاوزوا فيه إلى أن فعلوا هذه الأفاعيل فصارت سبباً في الشرك، فكل تجاوز عن المشروع لابد أن تكون نتيجته سيئة جداً مثل هذه. فلما وقعوا في هذا الشيء ازداد الأمر واتسع، وصار من بعدهم يستشهد بهم، فكل من جاء من الناس يوجِد له معبوداً شبيهاً لهذه المعبودات حتى انتشرت المعبودات جداً عندهم، وكثرت المعبودات التي تُجعل واسطة بين الإنسان وبين ربه، فعند ذلك أرسل الله جلَّ وعلا إلى أهل الأرض نوحاً عليه السلام)[2].

([1])- أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، برقم ٢٠٣٩، ص ٣٢٧، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة أو كانت زوجة أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة، ليدفع ظن السوء به، برقم ٥٦٧٨، ص ٩٦٦.

([2])- شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الله بن محمد الغنيمان، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

المبحث الثاني: أساليب نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى.

تنوعت أساليب نوح عليه السلام في دعوته لقومه إلى عبادة الله تعالى، حيث كان كثير الدعوة لقومه، كما ذكر الله تعالى عنه في سورة نوح فقال : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾[1] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[2] .

فنوع عليهم الأساليب والأوقات التي يدعوهم فيها رغبة منه عليه السلام في هدايتهم، ولعلهم يرجعون إلى الحق.

وفيما يلي ذكر بعض الأساليب التي استخدمها نوح عليه السلام في دعوته لقومه من خلال سورة نوح:

أولاً:الاستدلال بالربوبية على الألوهية:

قال الله تعالى:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[3] يخبر الله تعالى في هذه الآيات أن نوحاً عليه السلام استخدم في أساليب عرضه للتوحيد على قومه أن استدل عليهم بما يرونه من خلق الله تعالى ورزقه وملكوته في السموات والأرض على أنه يجب عليهم أن يوحدوا هذا الخالق المتفرد وحده لا شريك له فيقول لهم استنكاراً عليهم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[4].

ومن ذلك مما مهده الله لهم في الأرض فقال تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله -في تفسيره: (أي لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق جعل السماء بناءً والأرض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب

---

(1) – سورة نوح الآية : ٥ .

(2) - سورة نوح الآية: ٨-٩.

(3)-سورة نوح الآية: ١٣-٢٠.

(4)-سورة نوح الآيتان:١٣-١٤.

أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عديل له ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير) [1].

ثانياً:استخدام الأساليب المتنوعة في الاتصال الدعوي

(لقد دعا نوح قومه ألف سنه إلا خمسين عاماً يُنَوِّعُ لهم طرق الدعوة وأساليبها؛ فدعاهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، أفراداً وجماعات، ونوع عليهم الدعوة؛ لتكون أنجع فيهم)[2]، حيث أخبر الله تعالى عنه بذلك فقال تعالى:﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[3].

فقد جهر الرجل بكلامه أو دعائه أو صوته أو قراءته جهراً يرفع بذلك صوته، وكأنه كان يقف في مجامعهم خطيباً فيرفع صوته حتى يُسمِعَ جماهيرَهم دعوته.

ثم بعد اليأس من دعوتهم جهاراً اتخذ نوح عليه السلام أسلوب الإعلان والإسرار بحسب اختلاف أحوال الناس وبحسب ملاءمة الظروف.

فقد اتبع أسلوب الإعلان وذلك بأن دعا أفرادهم وجماعاتهم علانية وذلك بأسلوب التحدث العلني بين الناس وهو أسلوب غير أسلوب الخطابة، إنه أسلوب هادئ يتحمل السؤال والجواب والمناقشة والمجادلة والأخذ والرد والمراجعات.

أما سريته في الدعوة فذلك لأنَّ بعض الناس يكرهون أن يوجه لهم النصح أو التعليم مع الناس بطريقة علنية ويتقبلون ذلك إذا كان بطريقة سرية.

وقد اتخذ نوح عليه السلام هذا الأسلوب مع من يرى أنهم يكرهون أن يُوجَّهوا أو يُعلَّموا أو يُنصَحوا أو يُدعَو بطريقة علنية، فهم لا يستجيبون بطريقة الأسلوب العلني؛ لأنه في تصورهم ينقص من مكانتهم لدى جماهير التي تُكْبِر من شأنهم وتراهم عظماء في أفكارهم، وآرائهم ومفاهيمهم وتصرفاتهم، فكيف يستجيبون لداع يدعوهم إلى ترك ما هم عليه من عقائد ومفاهيم وأنواع وسلوك في الحياة[4].

فهو قد دعاهم بهاتين الطريقتين أفراداً وجماعات، فكان يأتي للجماعة فيدعوهم ويقوم فيهم خطيباً، ويبين لهم معالم دعوته وجهالة ما هم عليه من الشرك والكفر.

([1])-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣٤/٨.

([2])-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٣٢/٨.

([3])- سورة نوح، الآيتان: ٨-٩.

([4])-نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، د. عبدالرحمن حسن الميداني، ص ١٨٢-١٨٣، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ومن يرى أنه لا يستطيع دعوته جماعياً ذهب إليه في بيته مفرداً بينه وبينه سراً،لا يرى أحد من قومه أنه دعاه فهو يتفرد به و يختلى به ويوضح له الدعوة التي يحملها حتى يستقيم معه.

كما كان نوح عليه السلام لا يفتر عن تبليغ دعوته لقومه فهو يدعوهم ليلاً ونهاراً، يدعوهم في وضح النهار، بدون خوف أو وجل، ويدعوهم إلى الإيمان بالله إذا خَيَّم الليل بظلامه لعله يجد منهم من يؤمن به، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[1].

وهكذا مارس نوح عليه السلام هذه الطرق والأساليب المتنوعة طوال زمان دعوته، ولم يفتر عن ذلك إلى أن جاءهم عذابهم الذي أنزله الله بهم وهو أحكم الحاكمين.

ثالثاً: الترغيب والترهيب.

إن من أساليب الدعوة إلى الله الترغيب والترهيب، فالترهيب من أبواب الشر والحذر منها، وبيان ما ينتج عنها،كما أن على الداعية أن يبين للمدعو طرق الخير؛ لكي يسير المدعو في طرق الخير،كما ينبغي أيضاً أن يعرف المدعو الخير الذي سيحصل له من قيامه بهذا العمل الطيب؛ لكي يحرص عليه ويتشوق إلى نيل مأربه منه.

لقد استعمل نوح عليه السلام هذين الأسلوبين في أكثر من موقف،فقال عن الترهيب: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[2]أي: أنذركم وأبين لكم.

ثم بعد ذلك ــ أي في سياق الآيات ــ جاء لهم بأسلوب الترغيب؛ ليبين لهم فضل الإيمان الذي يجب أن يستجيبوا له، فقد بين لهم بعض هذا الفضل، فقال تعالى مبيناً ذلك: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3]فإن هم عبدوا الله وأطاعوه فإن لهم جزاءين يظفروا بهما:

الأول: أن يغفر الله لهم من ذنوبهم.الثاني:رفع العذاب المعجل عنهم، وتأخيرهم إلى أجل مسمى[4].

---

(1)-سورة نوح، الآية:٥.

(2)-سورة نوح، الآية: ٢.

(3)- سورة نوح، الآية: ٤.

(4)-انظر: نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، الميداني، ص ١٧٨.

ثم بعد ذلك ينتقل السياق بنا فيما وعد به نوح عليه السلام قومه إن هم استغفروا الله وآمنوا به، فأخبر تعالى عنه قوله:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[1].

قال ابن كثير – رحمه الله - في تفسيرها:(أي ارجعوا إليه، وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب؛ فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك)[2].

ثم يتابع ابن كثير في التفسير فيقول:(وقوله:﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[3]أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها.

هذا مقام الدعوة بالترغيب. ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾[4]أي: عظمة قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته.أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه واطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم جنات فيها أنواع الثمار وظللها بالأنهار الجارية)[5].

هذه بعض الثمار التي ذكرها نوح عليه السلام لقومه لكي يؤمنوا وكفى بها داعيا للإيمان، ونعم ما وعدهم به، وهكذا ينبغي للداعية أن لا يترك جانبا من جوانب الدعوة إلا كان له نصيب منه ولو يسيراً والله أعلم.

فماذا كان موقف قومه من هذه الدعوة التي صبر صاحبها هذه المدة ؟

هذا ما سنعرفه في المبحث القادم.

---

(1)-سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(2)-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، ٢٣٢/٨.

(3)-سورة نوح، الآية: ١٢.

(4) – سورة نوح الآية: ١٣.

(5)-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٣٢/٨.

المبحث الثالث:موقف قوم نوح عليه السلام من الدعوة.

أخبرنا الله تعالى عن نوح عليه السلام في دائه لربه، وما لقيه من قومه وصدهم عن دعوته فقال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[1].

ففي الآيات الكريمة يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه من العصيان في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً.

فقوم نوح قد وقفوا من الدعوة مواقف عديدة، فهاجموا دعوته وآذوه، ولم يتركوا سبيلاً لتشويه دعوته إلا سلكوه.

وسيقتصر البحث على ثلاثة من أبرز مواقف قوم نوح التي تعاملوا بها مع دعوة نوح عليه السلام:

الموقف الأول: الاستكبار.

الموقف الثاني: المكر.

الموقف الثالث: التعصب المذموم.

وبيانها كما سيأتي – وبالله التوفيق -.

(1)-سورة نوح، الآيات: ٢١-٢٤.

الموقف الأول: الاستكبار

الاستكبار مصدر استكبر يستكبر استكباراً، واسم الفاعل منه مستكبر بكسر الباء، وأصل الكلمة الكاف والباء والراء: كبر، وهو العظمة والتجبر [١].

وقد عرف الرسول ﷺالكبر فقال: (**الكبر بطر الحق وغمط الناس**) [٢].

ولقـــد ذم الله تعالى المتكبرين وأخبر أنه لا يحبهم فقال:﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[٣].

وقال تعالى:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[٤].

وفي الصحيحين عنه ﷺقال:((**قالت النار: أوثرت بالمتكبرين**))[٥].

قال الإمام أحمد بن عبد الرحمن المقدسي – رحمه الله –: (واعلم أن الكبر خُلُق باطن تصدر عنه أعمالٌ وهي ثمرته فيظهر على الجوارح، وذلك الخُلُق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يعني: يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً)[٦]. (وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله-: من كانت معصيته في شهوة فارج له التوبة؛ فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغُفِرَ له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاخش عليه اللعنة؛ فإن إبليس عصى مستكبراً فلُعِن) [٧].

ولقد كان هذا النوع من الخُلُق من أبرز مواقف قوم نوح عليه السلام من الدعوة، ذلك أنهم استكبروا عن قبول الحق، وتعالَوا عليه، قال تعالى مخبراً عنهم:﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾[٨](أي:واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له)[٩].

---

(١)-انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٢/ ٧٧٣، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

(٢)-أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم ٢٦٥، ص ٥٤.

(٣)-سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٤)-سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٥)-أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾سورة ق، الآية:٣٠، بـرقم ٤٨٥٠، ص ٨٥٨، وأخرجـه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم ٧١٧٣، ص ١٢٣٥.

(٦)- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي ص٢٩١، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها وخرج أحاديثها: علي بن حسن علي عبدالحميد، دار الفيحاء، ودار عمار، عمان الأردن، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٧)- نقله المقدسي في المرجع السابق ، ص٢٩٠.

(٨)-سورة نوح، الآية:٧.

(٩)-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣٢/٨.

(فكان دأبهم المتكرر وعادتهم التي لا يتخلون عنها أنهم كلما دعاهم نوح عليه السلام. إلى الإيمان والإسلام والطاعة، مُطْمِعاً إياهم في أن يغفر الله لهم من ذنوبهم التي سلفت منهم، أن يقابلوا دعوته لهم بعملين جسديين، وعملين نفسيين:

فالعملان الجسديان هما: الأول: أن يضعوا أصابعهم في آذانهم؛لئلا يسمعوا كلامه وليشعروه بأنه يقول أقواله في الهواء لغير سامع، فالأَوْلى له أن لا يُتعِب نفسه بالتحدث لمن لا يسمع من كلامه شيئاً، وليشعروه بأن أقواله قد صارت محفوظة لديهم مكرره، فنفوسهم تشمئز منها، وتتقزز من سماعها، وعليه أن ينصرف عنهم، وفي هذا ازدراءٌ للمتحدث وامتهانٌ له، وهو من أساليب الناس في معاملة النوكى والمجانين. **الثاني**: أن يستغشوا ثيابهم، أي: أن يجعلوا ثيابهم أغشية وأغطية على وجوههم لئلا يروه، وليشعروه بالإدبار عنه، وبأنهم عنه في حجاب، وبأنه صار ثقيل الظل كريهاً لديهم، فهم ينفرون من رؤية وجهه. وفي هذا مع وضع أصابعهم في آذانهم غاية الازدراء والامتهان، وإشعاره بأن عليه أن ينصرف به من ذلك....

والعملان النفسيان هما:الأول: إصرارهم على الكفر وعنادهم، ورفضهم أن يستجيبوا له، دَلَّ عليه: ﴿ وَأَصَرُّواْ ﴾...**الثاني**:استكبارهم المسرف الشنيع المؤذي عن طاعة الله واتباع رسوله، دل عليه:﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾أي:استكباراً مسرفاً قبيحاً مؤذياً، وهذه الصفات المحذوفة المبينة لنوع الاستكبار،يدل عليها جَعْلُهم أصابعهم في آذانهم، وتغطية وجوههم عنه بثيابهم، فالحركتان دالتان على استكبار شنيع مؤذ بلؤم وخسة) [1].

وهذه المواقف من الاستكبار المفرط دلالة قوية على عدم قبول الحق، بل والمبالغة في ردهم على الرسول الكريم نوح عليه السلام، فهي تصرفات شنيعة مخزية، يفعلها أصحاب الباطل على مر العصور؛ للكيد بأصحاب الحق ودعاته، ومنعهم أنفسهم من استماع الحق فلا يهتدون به، وذلك من الخسران المبين. نعوذ بالله من الخسران في الدنيا والآخرة.

(1)-نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ص ١٨٠-١٨١.

الموقف الثاني: المكر.

المكر لغة: الخدع وأن تصرف غيرك عن مقصده بحيلة [1].

وقد مكر قوم نوح عليه السلام من بداية الدعوة قال تعالى مخبراً عنهم:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقد حكى الله لنا مكرهم ووصفه بأنه مكرٌ كبار فقال تعالى:﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ حيث صدوا قومهم عن دعوة نوح عليه السلام بشبهات وأباطيل عديدة، قال الله تعالى مبيناً ما قالوه لقومهم:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[3].

والملأ هم سادة القوم وكبراؤهم ووجهاؤهم الذين يملؤون العيون، وفي هذا النص ست مقولات قالها ملأ قوم نوح عليه السلام لجماهيرهم لصدهم عن الإيمان بنوح واتباعه، بيانها كما يلي:

المقولة الأولى:﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.إن ملأ قوم نوح حاولوا إقناع جماهيرهم لصدهم عن الإيمان بنوح واتِّباعه؛ بأن البشر لا يصلحون لأن يكونوا رسلاً يرسلهم الله عز وجل، زاعمين وموهمين بأن البشرية تمنع من الاتصال برب العالمين لتلقى رسالة منه، وتمنع من الاتصال برسول رب العالمين الملائكة لتلقى رسالة الله عنه. وأشاروا إلى نوح عليه السلام في مقولتهم باسم الاشارة " هذا" إشعاراً بأنه رجل لا يستحق أن ينظر إليه باحترام وإكبار، وقصدوا تحقيره بحضوره أمام جماهيرهم؛ ليصرفوهم عن احترامه كلياً، وليثيروا نفوس صغار العقول منهم لازدرائه والسخرية منه، باعتباره بشراً مثلهم ويدعي الاتصال بالله، وأنه رسول مبعوث من قِبَلِه، ومثل هذا الادعاء لا يدعيه إلا من بعقله اختلاف أو نوع من أنواع الجنون [4].

المقولة الثانية:﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾. زعم ملأ قوم نوح لجماهيرهم أن نوحاً يريد بادعاء أنه رسول الله أن يكون ذا فضل عليهم بصفة لا يملكون نظيرها وهذه الصفة

---

(1)-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٨٨١/٢.

(2)-سورة الأعراف، الآية: ٦٠.

(3)-سورة المؤمنون، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(4)-انظر: نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، الميداني، ص ٢٥٤.

تجعلك سيداً عليهم وقائداً وآمراً وناهياً مطاعاً يستمد سلطانه عليهم من الله، ويفرض عليهم بذلك ما يريد وهو غير صادق في رسالته إذ هو كاذب في ادعائه.

المقولة الثالثة:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً ﴾أي: ولو شاء الله أن يرسل رسلاً إلى الناس يبلغون عنه دينه لأنزل ملائكة ولم يرسل بشراً زاعمين وموهمين أن هذا هو ما تقضى به الحكمة الربانية أو هذا هو الأمر الممكن الذي تقبله العقول، فهو ــ أي الله ــ لم يشأ أن يرسل رسلاً أصلاً بدليل أنه لو شاء أن يرسل إليكم رسلاً لأنزل ملائكة لكنه لم ينزل ملائكة، فهو إذن لم يرسل رسلاً مطلقاً.

المقولة الرابعة:﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾. أي: ما بلغت أسماعنا أخبار وأنباء تخبرنا بأنه سبق في تاريخ أجدادنا أن جاءهم رسلٌ من البشر يبلغون عن الله ما جاء به نوح فهم يحاولون بهذه المقولة إضافة دليل تاريخي يشهد لادعائهم بأن البشر لا يصلحون لأن يكونوا رسلاً لله وأن الله لم يشأ إرسال رسلٍ إلى الناس.

المقولة الخامسة:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾لقد كانت مقولة قوم نوح عليه السلام- هذه - لجماهيرهم تعليلاً لظاهرة إلحاحه على دعوته، وصبره الطويل فيها وقوته في مجادلة قومه لإثبات حقائقها وبيان فساد ما هم عليه من شرك وعبادة للأوثان وظلم وطغيان وإفساد في الأرض وأعمال سيئة.

المقولة السادسة:﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾في هذه المقولة وجد الملأ جماهير قوم لمطلق الانتظار وأضمروا في أنفسهم ما كانوا يدبرون من كيد له ولمن آمن معه، وقد دلَّ عليه ما بيَّنه الله عز وجل من أنهم هددوه ومن معه من أهله بالرجم، وأنه دعا ربه أن ينجيه ومن معه من المؤمنين من كيدهم [1].

فهذه المقولات الست تبين مدى ما كان مكر قوم نوح عليه السلام له ولمن آمن معه، وهذه هي حالة كل أمة مع رسولهم يمكرون به حتى إن قريشاً مكروا بالنبي ﷺ:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾[2]، ولكن عاقبة كل أمة تمكر برسولها أن يمكر الله بها ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ .

([1])- نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، الميداني، ص ٢٢٥-٢٦٠.

([2])-سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

وقال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام مما أخبر به نوح عليه السلام عن قومه: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

الموقف الثالث: التعصب المذموم.

التعصب لغة: من العصبية وهي:المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض[2].

ولقد كانت هذه الصفة بشكل مذموم عند قوم نوح عليه السلام فهم قد تمسكوا بها بل هي من أهم ما تمسك به المترفون في ردهم على نوح عليه السلام أنه خرج على المألوف من العادات وخالف نهج الآباء والأجداد فقال تعالى:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[3].

والشاهد في هذه الآية قولهم:﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾وهذا يعنى أن الحق هو ما يأتيهم عن طريق الآباء، وما يأتي عن غير طريقهم فضلال وانحراف.

وأخبر تعالى عنهم مقولتهم في سورة نوح فقال تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[4]، فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاء به نوح عليه السلام أنهم طلبوا من قومهم عدم ترك أصنامهم التي وجدوا عليها أسلافهم.

فهذا من سوء مداركهم وجمود قرائحهم، ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها؛ لعرفوا الحق بدليله، وانقادوا لليقين من غير تعليله، وهكذا أخلافهم ووراثهم قد تشابهت قلوبهم، فبئس ما يفترون، (قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[5]إلى غير ذلك مما يَدُلُّ على أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد،

([1])-سورة نوح، الآيات: ٢٢-٢٤.

([2])-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون٢/ ٦٠٤.

([3])-سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

([4])- سورة نوح، الآية: ٢٣.

([5])-سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

لا يحكمون لهم رأياً ولا يشغلون لهم فكراً؛ فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وهكذا كُلُّ من سلك مسلكهم في أي عصر كان) [1].

وبهذا ينتهي ذكر بعض مواقف قوم نوح عليه السلام مع نوع من الاختصار،ويتبين منها شدة ما عانى نوح عليه السلام من أذى من قومه، ومدى صبر نوح عليه السلام على أذى قومه.

(1)-فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية)، أبو المعالي محمود شكري الألوسي، تحقيق: يوسف بن محمد السعيد، دار المجد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

المبحث الرابع: خاتمة الكفار من قوم نوح عليه السلام.

بعد أن بَلَّغَ نوح عليه السلام دعوته لقومه الذين كذبوه ولم يطيعوه، مع طول الزمان وكثرة البلاغ، بل وصل بهم الأمر إلى أن آذوه، وهددوه بالرجم، فقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾[1] .

وبعد هذا الزمن الطويل أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومه من قد آمن، عند ذلك توجه نوح عليه السلام بالدعاء إلى الله عز وجل فقال:﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[2] .

وقد دعا عليهم نوح دعوة غضب، وذلك أن نوحاً عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم، وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق[3]، قال تعالى:﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[4] وقال تعالى:﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[5].

فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها [6].فسخر منه قومه كيف يصنع سفينة في الصحراء؟

ولكن الله تعالى على كل شيء قدير، وقد ذكر الله تعالى في سورة هود عاقبة قوم نوح عليه السلام المؤمن الذين نجاهم الله تعالى مع نوح عليه السلام والكافرين الذين أهلكم الله تعالى، وكان منهم ابن نوح عليه السلام الذي هلك مع القوم الكافرين، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ

---

(1)- سورة الشعراء، لآية: ١١٦.

(2)- سورة نوح، الآيتان: ٢٦ - ٢٧

(3)-البداية والنهاية، ابن كثير ٢٥٦/١

(4)- سورة نوح، الآيتان: ٢٥.

(5)- سورة الأنبياء، الآية: ٧٦.

(6)-قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ص ٩٤، تحقيق: مصطفى عبد الواحد مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾(١)

ففي الآيات السابقة بيان لا يحتاج إلى مزيد بيان،وتوضيح لا يستطيعه قول فصيح، وتعبير يعجز عنه كل لسان،عن مصير قوم نوح عليه السلام،منهم ابنه وفلذة كبده،فهذه هي عاقبتهم،وهذه هي عدالة الله التي لا تحابى أحداً فالله يجازي كل عامل بما عمل جزاء وفاقاً.

وبعد هذه النهاية الشديدة للكافرين من قوم نوح عليه السلام أمر الله تعالى الأرض أن تبلع ماءها، والسماء أن تقلع، فاستوت السفينة على الجودي، ونجا المؤمنون بفضل من الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

فهبط نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين بسلام بأم الله تعالى:

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾(٣).

وختم الله القصة في سورة هود بالخطاب للنبي ﷺ بأن ذلك من علم الغيب يوحيه الله تعالى لنبيه مما لم يكن يعلمه ولا قومه، آمراً له بالصبر فإن العاقبة للمتقين فقال تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٤).

وبهذه الخاتمة يكون انتهى عرض هذه التأملات الدعوية من سورة نوح عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين

---

(١)- سورة هود، الآيات: ٣٦-٤٣.

(٢)- سورة هود، الآية: ٤٤.

(٣)-سورة هود، الآية: ٤٨.

(٤)-سورة هود، الآية: ٤٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالى على إتمام هذا البحث، فله الحمد وله الشكر أولاً وآخراً . وقد خرجت من هذا البحث بنتائج وتوصيات عديدة، وذلك على النحو التالي:

فأما النتائج فمن أهمها :

أولاً:أن هذه السورة تتحدث عن سيرة رسول من أولي العزم ألا وهو نوح عليه السلام وكيف صبر على قومه.

ثانياً :تنوعت أساليب نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى من حيث لفت انتباههم بالاستدلال بالربوبية على الألوهية وما بين ترغيب في طاعة الله تعالى وترهيب من الكفر والعصيان وجحود النعم من رب العالمين.

ثالثاً: أن نوحاً عليه السلام استخدام الأساليب المتنوعة في الاتصال الدعوي، فيأتيهم جهاراً، ويذهب إلى أناس آخرين سراً، ويدعوهم جماعات وأفراداً، يهدف من ذلك دعوتهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

رابعاً: تنوعت مواقف قوم عليه السلام من دعوته فاخترعوا الأساليب المنكرة؛ من مكر كبار، وصد عن سبيل الله وإعراضهم عن دعوة نوح عليه السلام فيجعلون أصابعهم في آذانهم، ويتغطون بملابسهم مكراً وصدوداً، ويأمرون من معهم ومن خلفهم بعد اتباع نوح عليه السلام.

خامساً: أن عذاب الله شديد إذا جاء لا يؤخر، فقوم نوح عليهم السلام عتو وبغوا فدعا عليهم نبيهم فجاءهم من العذاب ما يتوقعوه، ولا يحميهم ولا يعصمهم منه عاصم إلا من عصمه الله تعالى فنجاه مع نوح عليه السلام في السفينة العجيبة، فهذه عاقبة الكافرين المكذبين.

أما المؤمنون مع نوح عليه السلام فقد نجوا من العذاب والغرق مع نبيهم نوح عليه السلام.

أما التوصيات فمن أهمها :

أولا: العناية بالدراسات الدعوية والاحتسابية من خلال القرآن الكريم، واستنباط الأساليب الدعوية من خلاله، فهو الأصل الأصيل والركن الركين لم أراد الدعوة إلى الله تعالى على يقين وصواب.

ثانياً: الاهتمام بالدراسات الدعوية في كتب التفسير، خاصة دراسة الجوانب الدعوية التي استنبطها المؤلفون في تلك التفاسير.

ثالثاً: الإفادة من كتب المؤلفين في السير التي تحدثت عن سير الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم على الحق، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

رابعاً: دراسة سيرة نبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم وسيرة التابعين رحمهم الله من بعدهم؛ للإفادة من مواقفهم الدعوية، وتقريبها لهذا الجيل ليكونوا قدوة لهم، يحذون حذوهم، ويستفيدون من سيرهم، ويستنيرون بتقريراتهم العلمية والعملية.

هذا والله أعلى وأعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين محمد بن مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٤- تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق:د.عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٦- خطبة الحاجة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط٣، ١٣٧٩هـ.

٧- دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، ص ٧، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

٨- زبدة التفسير من فتح القدير، محمد بن سليمان الأشقر، دار الهجرة، ط٣، ١٤١١هـ.

٩- شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠- شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الله بن محمد الغنيمان، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

١١- صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٢- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، دار السلام، الرياض، ط١، ربيع الأول ١٤١٩هـ.

١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

١٥- فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية)، أبو المعالي محمود شكري الألوسي، تحقيق: يوسف بن محمد السعيد، دار المجد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٦- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٧- المختصر في أسماء السور، د. إبراهيم بن سليمان الهويمل، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٠، ربيع الآخر ١٤٢١هـ.

١٨- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها وخرج أحاديثها: علي بن حسن علي عبدالحميد، دار الفيحاء، ودار عمار، عمان الأردن، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٩- المرشد في كتابة الأبحاث، د. حلمي محمد فودة، وزميله د. عبدالرحمن صالح عبدالله، دار الشروق، جدة ط٦، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٢٢- نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، د. عبدالرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.